Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

نظرية القيم القرآنية
-قراءة في المشروع الفكري لمحمد أركون-
Quranic Axiology
A Read in the intellectual project of Mohamed Arkoun

عبد النور شرقيAbdennour chergui
جامعة الجزائر 2 université d'Alger. Algérie
الإيميل abdennourchergui@yahoo.fr :

تاريخ الاستلام: 2020-07-15 تاريخ القبول: 2021-12-25

ملخص:
تعالج هذه الورقة مبحث القيم في السياق الإسلامي باعتباره من مرتكزات السؤال الفلسفي والبحث التاريخي، وتعتبر مرحلة التأسيس خطوة مهمة أمام العقل النقدي للبحث في القيم التي استلهمها المسلمين من القرآن وجعلوا منها دستورا في ممارساتهم اليومية.
ان نظرية القيم القرآنية التي يعالجها محمد أركون ضمن منظور التاريخ النقدي للفكر العربي-الإسلامي، هدفها الأساس اعادة التفكير بتراث الإسلام بدءا من أسسه وجذوره، لهذا لابد من معرفة المعايير الأساسية التي يستخدمها القرآن، وبالتالي إمكانية التميز بين السلوك الإيجابي، المتوافق مع نظام قيمه، والسلوك السلبي الذي يهدّم هذا النظام من القيم. توجد أربع معايير لابد من معالجتها بالدراسة والتحليل، قصد اعادة موضعة القيم القرآنية بالقياس إلى القيم المحورية الخاصة بالعقل المستقل، إضافة إلى تغيير اللغة النظرية التقليدية التي كانت متداولة آنذاك، والتوصل إلى لغة جديدة متوافقة مع العصر.
الكلمات المفتاحية: القيم القرآنية، أركون، الظاهرة الدينية، العقل النقدي، التراث، الحداثة.

Abstract :
This research paper deals with the domain of values in the islamic context, as it is considered one of the basics of both the philosophic question and the historical research as Well. The establishment phase is, also, considered an essential step as far as the critical reason is concerned to search the values that muslims did inspire from The Quran and which,later, have become a daily life constitution.
The theory of Quranic Axiology which Mohamed Arkoun has treated in a Arab - Islamic thought critical history perspective aims, in the first place, at rethinking about Islamic heritage starting from its fundamentals and roots, that's why it's necessary to know the main standards that the Quran uses, thus, the ability of establishing a clear distinction between the positive behaviour , which is compatible with its own system of values and, on the other hand, the negative behaviour that, completely, destroys this system of values.
There are four standards that should be treated with a deep study and anlysis in order to relocate the quranic values in comparaison with the special main values that are very related to autonomous reason, in

addition to changing the theoretical, very traditional language that was common then, and obtaining a new language that is compatible with the spirit of the age.

Keywords: Quranic Axiology; Arkoun; The Religious Phonemenon; The Critical Reason; The Heritage; The modernity.

1. مقدمة:

يعتبر مبحث القيم من أهم المباحث التي يرتكز عليها السؤال الأخلاقي ويتناولها بالدراسة والتحليل ونجد أن الباحث في هذا الحقل لا يمكنه أن ينقطع عن دراسة مرحلة التأسيس الأولى لما تشكله من تأثير وتوجيه، ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد أقرّ كثير من القيم وأمر المسلمين أن يعملوا بها ويجعلوا منها دليلا في حياتهم، حدث هذا أيام العصر التأسيسي، مما جعل المسلمين يتخذون من القرآن دستور نموذجي وذروة مشروعية لاستلهام الأخلاق والقيم وممارستها في الحياة اليومية والدعوة إليها بالوعظ والارشاد، بالشعر والقصص وخطب الجمعة وغيرها من خطب المناسبات الدينية. وهذا ما أدى بالحضور القوي للنص القرآني في المجتمعات الاسلامية. ولمعرفة أهم العبارات التي سيطرت وظلت لوقت طويل تتحكم في مخيال المجتمعات الاسلامية، لتنتقل كما يرى ذلك أركون من وجودها الدلالي إلى الاستعمال اليومي من شعائر وعبادات ومعاملات. يحيلنا أركون الى ذلك التحول الذي حصل على مستوى حضور القرآن الكريم في المجتمعات الاسلامية اليوم، وكيف تم تحوير المعنى وتشويه الحقائق خاصة من طرف وسائل الاعلام.

ولمعالجة مسألة **نظرية القيم القرآنية** عند أركون نجد أنفسنا نعود إلى أهم دراسة، في هذا المجال والتي كانت في الأصل عبارة عن حصيلة الندوة الدولية التي نظّمتها اليونسكو سنة 1986 بالتعاون مع رابطة الدعوة الاسلامية (طرابلس الغرب)، في باريس حول موضوع الرؤيا الأخلاقية والسياسية للإسلام. عمل أركون على نشر المداخلة التي تقدّم بها في الندوة الدولية في كتاب عنوانه "الإسلام، الأخلاق والسياسة" الصادر عن منظمة اليونيسكو سنة 1986 ثم نقله فيما بعد هاشم صالح إلى العربية.

سوف نعالج في هذه الدراسة موضوع نظرية القيم القرآنية من خلال الإجابة على الأسئلة التالية: ماهي المعايير الأساسية التي يستخدمها القرآن حتى يمكن التميز بين السلوك الإيجابي المتوافق مع نظام قيمه والسلوك السلبي الذي يهدّم هذا النظام من القيم ؟. وهل توجد أنماط معينة لتلقي القانون الديني الذي نص عليه القرآن الكريم ؟. وأخيرا ما هي منهجية أركون في الانتقال من مرحلة التفكير اللاهوتي التقليدي إلى مرحلة البحث العلمي وتحكيم العقل النقدي في مراجعته للقيم القرآنية ؟.

تهدف هذه الدراسة وكما حددها أركون في معرفة الاستخدام الكثيف في وقتنا الحالي للقرآن، حتى نستطيع التوصل إلى معرفة التداخل والتفاعل المتبادل بين المحورية الأخلاقية القرآنية من جهة وبين المحورية الأخلاقية الخاصة بالعقل النقدي من جهة أخرى. وقد اعتمدنا عدة مناهج اقتضتها ضرورة الطرح، فنجد المنهج التاريخي أين عملنا على العودة الى النقاشات التي كانت جارية في التراث بين الاتجاه الديني والاتجاه الفلسفي، محاولة منا لفهم غياب الهم الأخلاقي في

المرحلة المعاصرة. غياب الحس النقدي ومراجعة جدية للقيم القرآنية، بمرجعية عقلية بعيدة عن الاستخدام الايديولوجي للحركات الاسلامية المعاصرة في دعوتهم لتطبيق الشريعة بحذافيرها دون أدنى اعتبار للسياق التاريخي المختلف ومتطلبات الراهن، اضافة الى التغيرات المجتمعية المختلفة من عصر إلى آخر. وهذا ما ترك الساحة فارغة لأصحاب الحركات الأيديولوجية في توظيف الدين لأغراض سياسوية، اضافة الى هذا المنهج اعتمدنا كذلك المنهج التحليلي والنقدي وقد تبيّن لنا أن الموضوع يحظى بأهمية استراتيجية داخل المشروع الفكري الأركوني، فالعمل على تفكيك هذه الجوانب واعادة بناءها وفق توجه العقل النقدي هو ما يجب أن يحدث.

يتناول أركون مسألة المحورية الأخلاقية القرآنية ضمن منظور التاريخ النقدي للفكر العربي-الإسلامي، فالمؤرخ وحده من يستطيع استخراج الوقائع والأحداث وليس المقاصد والنيّات. ولمعرفة المعايير الأساسية التي يستخدمها القرآن حتى يمكن التميز بين السلوك الإيجابي المتوافق مع نظام قيمه، والسلوك السلبي الذي يهدّم هذا النظام من القيم، يقدم أركون أربعة معايير أساسية يؤدي الترابط والتشابك فيما بينها إلى بلورة المحورية الأخلاقية القرآنية وتحديدها، هذه المعايير الأساسية هي كالآتي:

1 معيار أسماء الله الحسنى

يميز أركون في هذا المعيار بين إله الفلاسفة وإله القرآن الكريم، فالأول إله الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو وكل الفلاسفة الذين أتو بعدهم وناصروهم في توجههم، هؤلاء حسب أركون يظهر إلههم على بساطته العقلية والتأملية. بينما إله القرآن الكريم هو اله فاعل ومنخرط في التاريخ يعلم كل كبيرة وصغيرة ولا تخفى عليه خافية. يتحكم ويهيمن على تاريخ النجاة في الدنيا والآخرة. لهذا تجد أن المسلم يلجأ وكما أمر به إلى "تلقي الله بواسطة التجربة التاريخية للأمة ومن خلالها"[1]. هذا الموقف الأخير هو الذي أنتصر في نهاية المطاف على خط الفلاسفة. والمسألة معروفة جيدا في مسألة التلقي خاصة مع ظهور الفقه وأصوله. اضافة إلى الاختلاف بين الفرق الكلامية وكذلك الفلاسفة أمثال الغزالي وابن رشد مثلا. ليس هذا فقط بل حتى الصفات المنسوبة إليه لم تعد موضوعات للتأمل النظري فحسب كما نجد ذلك عند الفلاسفة، "إنما هي عبارة عن المفردات والتعابير المطابقة التي ينبغي على الإنسان أن يستخدمها من أجل التكلم عنه، والتوجه إليه، ومن أجل شكره وطاعته لنعمه التي أسبغها على المؤمنين"[2]، وهو لا يتجلى فقط من خلال اللغة، وإنما من خلال التجربة الروحية الزمنية بشكل متداخل لا ينفصم. بمعنى أن الإنسان يعيش هذه التجربة روحيا ولا تبقى على مستوى اللغة ومن خلال التكرار لهذه الصفات فقط كما نشهده في التراتيل والأذكار اليومية. والحركة الروحية الزمنية كما يبيّن أركون هي "تجربة تاريخية متعالية في آن معا: أي التي تشمل تاريخ النجاة الأخروي والتاريخ الأرضي الدنيوي في آن معا"[3].

يرى أركون أنه ينبغي علينا فتح ورشات جديدة للبحث العلمي والتاريخي. رغم كل العوائق التي يعلم مسبقا أنها ستواجهه والتي تتمثل في: الموقف الأرثوذكسي من التراث الذي يرتكز على بداهة التراث كما هو معروض من الرواية الرسمية ولا حاجة لتفسيره أو شرحه لأنه واضح ومفسر. بينما يتمثل الموقف الثاني في المنهجية الشكلانية للألسنيين الذي يرفضون الانخراط في قراءة التراث قراءة مبنية على المعنى والدلالة.

إن من أهم صفات الله والتي يستخدمها الخطاب القرآني مثل: الجبار، المهيمن، الرحمن،

الرحيم، المريد، كاشف الغيب. هي نقاط ارتكاز تجعل الكائن المطلق –الله- حاضرا بقوة فاعلا ومؤثرا، في توجيه الانسان وصياغته كما يشاء ووقت ما يشاء. وهنا نجده يعمل على لفت النظر إلى الصراعات والتوترات التي أحدثتها التفاسير المختلفة من طرف: الصوفية، والكلامية، والفقهية، حيث يوجد فارق واضح حول الواحد الأمثل –الله- بين تأملات الفلاسفة الذهنية والمجردة من جهة، واندفاعة القلب وتدفّق التجربة الدينية في اللغة من جهة أخرى. لهذا يؤكد أركون على وجود رفض قاطع لتأملات الفلاسفة. من هذا المنطلق نستطيع فهم الفارق بين عمل أو مهمة الفيلسوف ومهمة أو عمل النبي، "فالفيلسوف هو بالدرجة الأولى محلّل ومتأمل، وهو نادرا ما يكون رجل جماهير، أو قائدا للبشر، أو فاعلا في التاريخ. أما النبي فهو يقود الشعب...من أجل ترسيخ شهادة فريدة لتجربة المطلق في التاريخ الأرضي، ومن أجل ترسيخ الميثاق الذي يربط بين الله وأبناء آدم"[4].

2 معيار الشهادة

للحديث على هذا المعيار تجدر الاشارة الى أن أركون يميز بين التاريخ الشفهي -الثقافة المؤسسة على التراث الشفهي- والتاريخ المكتوب –الثقافة المؤسسة على العقل الكتابي الرسمي- أو بين الرسمي والهامشي، حيث يتجلى الفارق كثيرا بينهما. "ويتجلّى الدور المحوري والأساسي للشهادة في شهادة الإيمان الإسلامية ذاتها (تشهَّد، يتشهَّد)، ومن المعروف أن لها قيمة الطقس أو الشعائر، ذلك أنه يكفي أن ينطقها الإنسان لكي يدخل في جماعة أولئك الذين يربطهم عقد الإيمان، أي لكي يدخل في الإسلام"[5]. وبما أن الشهادة يحملها كل واحد منا بالمفرد وتكون بمثابة تجسيد وترسيخ للوعي الفردي فإنها تكون بمثابة الرقيب الداخلي الذي لا يقبل الانحراف أو التخلي عن الالتزام اتجاه الواحد الأحد. ليصبح بهذا المفهوم كل ما يقوم به الانسان في حياته من سلوكيات وتطبيق للمعتقد بمثابة الشهادة أو العهد والميثاق الذي قطعه مع الله من خلال تلك الشهادة. وهنا بالتحديد تبرز تلك القطيعة الفاصلة بين الرؤيا الأنطولوجية والأخلاقية للإسلام، وبين الرؤيا الفلسفية.

ورغم كل هذه الخلافات في القرون الوسطى بين المدارس الفقهية والفكرية الإسلامية، فإن أركون يرى أنه لم يكن لها تأثير يذكر على القطيعة الأكثر أهمية والحاصلة بين الثقافات المؤسسة على التراث الشفهي والثقافات التي أنتجها العقل الكتابي. فقد لعب القرآن دورا كبيرا في فرض الكتابة. لكن رغم انتشار الكتاب، والتطور الذي حصل فيما بعد بالانتقال إلى مرحلة الحضارة السمعية-البصرية، إلا أن "القيمة الأساسية للشهادة الشفهية استمرت في فرض نفسها في المجال الإسلامي، لأن الدولة الرسمية بكل ثقافتها الكتابية الفصحى والحواضر الأساسية المرتبطة بها لم تستطع أن تقضي على تلك القطاعات الواسعة من المجتمع التي استمرت في الخضوع للثقافة الشفهية (كالأرياف والأمصار البعيدة والجبال...)"[6]. هذه الإشارة المهمة في التمييز بين الثقافة الشعبية الشفهية والثقافة المكتوبة الرسمية هو ما أدى بوضع علم الأخلاق إما تحت سيطرة المحورية الأخلاقية القرآنية، أو تحت سيطرة المحورية الأخلاقية الفلسفية. ورغم ذلك لم ينته الصراع على مدار التاريخ. "وقد أصبح هذا التضاد الصراعي أكثر عنفا وقوة عندما حلّت الظاهرة الإسلامية التي تمسك بها الدولة الرسمية، محل الظاهرة القرآنية ***Le fait coranique**، وذلك بدءا من العصر الأموي"[7].

3 معيار الأمة

يشير أركون إلى أنه من الصعب مقاربة مفهوم الأمة وتحليله. هذا المفهوم تم استخدامه مرارا وتكرارا أين تم حجب المعنى القرآني لهذا المفهوم من خلال

عملية التحوير والتغيير التي طالته من طرف الفقهاء والمفسرين ضمن منظور آخر غير مطابق لما جاء في القرآن حيث عملوا على شحنه بدلالات معنوية لا تنتمي أصلا إلى زمن التأسيس الأول –القرآن-بل خاضعة في جلها إلى التغيرات اللاحقة للمجتمع الإسلامي، وهذا ما يؤكد موقف أركون في اشارته إلى التحول من الحدث القرآني إلى الحدث الاسلامي. وحتى نخرج من هذا المأزق والوصول إلى تحديد موضوعي لمفهوم الأمة بعيدا عن الاستعمال تحت الطلب يعود ويستند محمد أركون على وثيقة نادرة ومهمة وهي: **"صحيفة المدينة".**

انطلاقا من صحيفة المدينة سوف نشهد أن القرآن قام بعملية تحوير لهذه الحادثة التاريخية حتى تتخذ دلالة كونية تتجاوز خصوصيتها المحلية، ولعل أدل على ذلك قوله تعالى: " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ 110"[8]. من خلال هذه الآية تجد أن القرآن عمل على اسباغ الصفة الروحانية الدينية والكونية، من خلال أسلوب دلالي محكم. لهذا تجد الكثير من مسلمين ومستشرقين يكرّر مقولة أن القرآن صالح لكل مكان وزمان، وأن الإسلام لا يفصل بين الروحي والزمني. باعتباره خطابا كونيا للبشر، وفي هذه الحالة فقط حسب مفكرنا فإن القرآن يتخلى عن صفته التاريخية ويبدوا في النهاية وكأنه خارج التاريخ أو يعلوا عليه بل لا يخضع له أبدا. لأن هذا الزمكان أصبح مقدس وذو بنية أسطورية تتعالى على الواقع والتاريخ.

لكن الإشكال المطروح والذي سينتج فيما بعد - حسب أركون- "أن هذه الأمة الناتجة عن الخطاب القرآني وتجربة المدينة سوف تصبح مع ظهور العلماء الذروة العليا للسيادة الدينية والمشروعية الدينية"[9]. حيث نجد العلماء من رجال الدين يعبرون عن موافقة الأمة كلها وينوبون عنها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويرجع أركون ظهور هذا العمل إلى أن فقهاء وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية احتلوا الساحة الفكرية في الوقت الذي اختفت الفلسفة والفلاسفة من المجال العام، فتجد أن هؤلاء يلاحقون الناس إلى غاية بيوتهم حتى يطبقوا عليهم أخلاقية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بناء على قائمة من الممنوعات والمحظورات. فتجدهم ينصبون أنفسهم وكلاء الله في تطبيق الحدود على البشر من مخالفين لتعاليمه، ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى اشكالية في غاية الأهمية عالجها أركون حول هذا الأمر وهي: **ثلاثية العنف والمقدس والحقيقة**.

إن ممارسة العنف تحدث غالبا تحت عنوان الدفاع عن المقدس وهذا ما نشهده حاليا من صراعات اثنية وطائفية وعرقية، لأن الكل يرى الحقيقة في معتقده أما سواه فهو على باطل، لهذا تجده يلجأ إلى العنف للحفاظ على مقدسه بل يعمل على نشره بالقوة. ولنا في أعمال العنف التي تقوم بها الجماعات الإرهابية خير دليل. يحدث كل هذا حسب أركون تحت تأثير الجهل المقدس والجهل المعمّم مؤسساتيا. وهذا الأمر هو ما أدى بالأمة إلى "انقسام وتشظّي إلى قوميات متعددة (الأمة العربية، الأمة الفارسية، الأمة التركية، الأمة الباكستانية، الأمة الاندونيسية، الخ...)"[10]. كل هذه القوميات المنقسمة تتناحر مما يؤدي في النهاية إلى الرفض المتبادل فيما بينها، وهذا ما نقف عليه حاليا.

4 معيار القانون، أو الأمر

ما يمكن فهمه من تحليل أركون لهذا المعيار، هو أن كل التجارب الدينية والانتاج العقدي الذي ظهر بعد مرحلة التأسيس الأولى، هو بمثابة محاولات لتجسيد الأخلاقية القرآنية في التاريخ البشري، والاشكال المطروح هنا يكمن في محاولة تجسيد هذه

الأخلاقية والتي انقسمت وتفرعت بقدر تفرع وتعدد الفرق والمذاهب والمدارس. لكن هذا لا يقدم أي شيء ايجابي على مستوى تجديد الفكر الإسلامي والعربي.

بداية يشير أركون في معرض حديثه عن القانون، أو الأمر، بأنه "يعني النظام ومجمل الوصايا والايعازات الصادرة عن سيادة عليا مستقلة ومشروعية مطلقة"[11]. هذه الكلمة وردت مرة واحدة وهي مرتبطة بكلمة شرع والتي تعني السبيل أو الطريق في قوله تعالى "ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18)"[12] وبما أن القرآن يوجه خطابه عادة إلى النبي وجمهور المسلمين غالبا في صيغة الأمر. فإننا نجد "أن الفقهاء والمشرعين الذين سيبلورون القانون الديني، اعتمادا على الأمر، سيقولون بأن السلطة التشريعية لا تنتمي إلا لله"[13]. لذلك على الأمة أن تلتزم بأوامره ونواهيه، تطبقها وتحترمها، وفي هذا الالتزام للأمة بالأمر وتطبيق القانون، نجد أن هناك علاقة وثيقة بينهما حيث تكمن -حسب أركون- في مجالين مهمين هما :

1- "واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
2- علم أصول الفقه، والذي يعني منهجية القانون ومصادره وأسسه"[14].

وفي مجال القانون الديني وعلى أهميته بصفته محورا من محاور التعاليم القرآنية شهد توسعا وانتشارا على صعيد الأخلاق وآداب السلوك. فالصوفيون خالفوا الفقهاء والأصوليون في الالتزام بتطبيق الأحكام الشرعية حرفيا. وعملوا على التحرر منها "ففي استبطان روح الأوامر والنواهي الإلهية أضاف الصوفيون بعدا جديدا هو بعد الحب المثالي المطلق...وبرهنوا على أنّ التدريبات الروحية، والمسار الصوفي، تشكل صيغة أخرى ومنهجية أخرى من منهجيات تفسير الكلام الأكبر الذي ينص على القانون الأكبر"[15] وبهذا المعنى نفهم جيدا الفرق بين التفسير الحرفي والبلاغي الذي اتبعه الفقهاء وبين الصوفية التي ركّزت على صفات الله من رأفة ورحمة وعفو وطيبة ومحاولة لاستلهام معانيها.

اضافة إلى ما تقدم نجد هناك اختلاف حول مكانة الفعل البشري، اختلاف بين المعتزلة والأشاعرة. فالمعتزلة يعتبرون أنّ الفعل يخضع لقدرة الانسان في التمييز بين الخير والشر. وبالتالي فهو مسؤول عن أفعاله حسنها وقبحها بحكم مكلة العقل التي أودعه الله إيّاها، وهنا نجد أن منهجية المعتزلة قريبة من منهجية الفلاسفة. لكن في المقابل نجد الموقف الأشعري مخالفا لما ذهبت اليه المعتزلة، حيث يؤكد على قدرة الله في توجيه أفعال البشر.

في النهاية تجدر الإشارة إلى أن ما يهمّ أركون في هذا الإطار يكمن في التوقف عند أنماط تلقّي القانون الديني كما نصّ عليه القرآن من قبل مختلف الفئات، أكثر من التوقف عند تفاصيل الخلافات بحدّ ذاتها التي سيطرت على الفِرَق المتنافسة. لهذا ينبغي موضعة -كما أشرنا فيما سبق- الأخلاقية القرآنية بالقياس إلى الشروط النقدية لكل إنتاج معرفي ضمن منظور منفتح على الظاهرة الدينية بشكل عام وليس ضمن منظور دين معين، لأن الخطاب القرآني لا يمثل سوى إحدى تجليات الظاهرة الدينية إلى جانب خطابات دينية أخرى (التوراة والانجيل...) وللقيام بهذا العمل لابد من تطبيق أحدث مناهج العلوم الانسانية والاجتماعية.

4. خاتمة: استعادة نقدية للمحورية الأخلاقية القرآنية

ما يمكن التوصل اليه من خلال ما سبق، وبالعودة الى التحليل التفصيلي للمحاور الأساسية المشكّلة للأخلاقية القرآنية داخل تراث الفكر العربي – الإسلامي، والتي يرسم القرآن بواسطتها الحدود الفاصلة

بين السلوك الإيجابي والسلوك السلبي، نجد أن محمد أركون ينطلق من القرآن ويعود اليه، ينطلق منه لكن دون مسايرة الموضوع التربوي الخاص بالعصر التأسيسي القائم على العبرة والعظة والقدوة، انما التنظير لمحورية قائمة على النظر العقلي والشروط النقدية لكل انتاج معرفي، بعيدا عن الاستعادة الأيديولوجية لتعاليم القرآن ومحاولة توظيفها سياسيا. هذه الخطوة كما يراها أركون لديها هدف منهجي ولابد منها، حتى يمكن لنا في مرحلة قادمة الانتقال إلى أنواع الخطابات الأخرى داخل الظاهرة الدينية في عمومها باعتبار أن الخطاب القرآني ليس إلا انتاجا معرفيا ضمن خطابات أخرى (الخطاب التوراتي، الخطاب الانجيلي ...الخ).

يدعونا أركون إلى ضرورة التمييز بين الأخلاقية القرآنية من جهة، وبين الآيات المستشهد بها من جهة أخرى حتى يتم كشف التلاعبات الكثيرة داخل القراءات الإيمانية الحالية القائمة أساسا على التبجيل والتلفيق وخاصة حول مفاهيم العصر الحديث، مثل حقوق الإنسان ومكانة المرأة، وغيرها من المفاهيم. قصد ابراز تفوق الإسلام ومفاهيمه السياسية والإقتصادية على النظم الغربية. هذا الأمر يوحي بمدى الفقر والبؤس الثقافي للقراءات الاسلامية المعاصرة.

إن الصراع والتنافس الذي أشار إليه أركون في معرض حديثه بين النظرة الإسلامية القائمة على القاعدة الأخلاقية القرآنية وبين نظرة الفلاسفة المنفتحة على الموروث الفلسفي اليوناني، تدعو وبشكل صريح إلى تجاوز الرؤية الأرثوذكسية الإسلامية بهدف اعادة التفكير في الإسلام اليوم. وللوصول إلى هذا الحل وجب علينا نقد المظاهر الخادعة للحقيقة اللاهوتية، والقانونية، وكل القيم الروحية والأخلاقية.

6. قائمة المصادر:

- القرآن الكريم
- محمد أركون، الإسلام الأخلاق والسياسة، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، منشورات اليونسكو، بيروت، ط1، 1990
- محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل –نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي-، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، ط1، 1999.
- محمد أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2009

6. هوامش:

[1] محمد أركون الإسلام الأخلاق والسياسة، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، منشورات اليونسكو، بيروت، ط1، 1990، ص 23

[2] المصدر نفسه ، ص 23

[3] المصدر نفسه، ص 24

[4] المصدر نفسه ، ص 26

[5] المصدر نفسه، ص 27

[6] المصدر نفسه ، ص 28

[*] يميز محمد أركون بين الظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية أو الحدث القرآني Le fait coranique والحدث الإسلامي Le fail Islamique، لمعرفة هذا التمييز بينهما أنظر كتابه: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل –نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي-، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، ط1،

1999، ص ص، 208-235. أنظر كذلك كتابه: نحو نقد العقل الإسلامي، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2009، ص ص 276-279.

[7] محمد أركون، الإسلام الأخلاق والسياسة، المصدر نفسه، ص 29

[8] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 110

[9] المصدر نفسه، ص 33

[10] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[11] المصدر نفسه، ص ص 33-34

[12] القرآن الكريم، سورة الجاثية، الآية 18

[13] المصدر نفسه، ص 34

[14] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[15] المصدر نفسه، ص 35